

*Remarks by Farooq Kathwari at New York University on February 27, 2007.
Lecture organized by: Dialogues: Islamic World-U.S.-The West and the Stern School of
Business on the subject "Islamic Ethical Principles and Globalization: A Path to
Partnership Between America and the Islamic World"*

ملاحظات فاروق كاثواري في جامعة نيويورك في 27 فبراير/ شباط 2007.

محاضرة نظمته: حوارات: العالم الإسلامي - الولايات المتحدة - الغرب

ومدرسة ستيرن للأعمال حول موضوع

"المبادئ الأخلاقية الإسلامية والعولمة: الطريق إلى شراكة بين أمريكا والعالم الإسلامي"

مساء الخير. أود أن أشكر صديقي العزيز، مصطفى تليلي، لإتاحة هذه الفرصة لتبادل الأفكار حول نتائج العولمة. وبالمصادفة، كنت قد دُعيتُ في وقت سابق من هذا الشهر للحديث في هذا الموضوع في برنامج أخبار الساعة بإذاعة الـ "بي بي إس" PBS News Hour. كان موضوع العولمة دائما مثار اهتمام الناس وهو اهتمام يتزايد اليوم باطراد بعد أن أصبحت الاتصالات والمعلومات في متناول الملايين - إن لم يكن البلايين - من البشر. لقد أدت سهولة تدفق المعلومات والزيادة الكبيرة في التجارة العالمية إلى خلق كثير من الفرص ولكنها أدت أيضا إلى إمكانية قيام صراعات كبيرة. إن مستوى التطلعات عند الناس يرتفع، وأعداد المهاجرين في تزايد مستمر، بينما تتزايد المخاوف البيئية، والمخاوف الصحية على مستوى العالم وتتفاقم النزاعات الإقليمية. وأصبح على قادة العالم أكثر من أي وقت مضى أن يتكاتفوا لمعالجة هذه القضايا. وفي حديثي للإذاعة عقدتُ مقارنة قلت فيها إن العولمة أشبه ما تكون بعملية تسلق الجبال؛ فإذا لم يكن المتسلق يخطو في روية وحذر فالنتيجة في الغالب أنه سيصاب بالدوار الحاد المصاحب للارتفاعات العالية وهو ما سيودي به إلى الهلاك.

وبينما كنت أفكر في هذا الموضوع، كانت رحلتي الخاصة من الجبال والوديان في كشمير جزءاً من قصة العولمة. أحسست بأنني عدت إلى الوراء 41 عاما - وهي فترة كانت تتسم بالاضطراب. غادرتُ إلى نيويورك في اليوم التالي لإعلان الهند وباكستان وقف إطلاق النار لتضعنا نهاية لحرب عام 1965 حول كشمير. كانت فترة وجودي في كشمير فترة عصيبة وكان قدومي إلى نيويورك انطلاقة إلى حياة وفرص جديدة. وكنت أعمل أثناء النهار في شركة للطباعة في شارع "بروم"، ليس بعيدا من هنا، والتحقْتُ بمدرسة مسائية تابعة لكلية الأعمال، وهي الآن مدرسة ستيرن. كانت المدرسة في شارع "تشيترش" قرب شارع "ول ستريت" مما هيا لي الحصول على عمل لدى "بيير ستيرنز"، وفيما بعد لدى مؤسسة "روتشيلد". لقد كنت سعيد الحظ لأنني تعلمت الشؤون المالية والإدارة في هذه المؤسسات العريقة.

في كشمير كان انشغالي الرئيسي في المدرسة هو الرياضة وقيادة فريق "الكريكيت" وغيرها من الألعاب الرياضية، وتخصصت في موضوعات ذات صلة بالرياضة والأدب الإنجليزي والعلوم السياسية. وفي

جامعة نيويورك، وبعدها اجتزتُ فصلاً دراسياً في كل من الاقتصاد والمحاسبة، فقد شعرت بالارتياح إلى التسويق كمجال رئيسي للدراسة. أما إنجازي الآخر في جامعة نيويورك فكان انضمامي إلى فريق الجامعة في الكريكت وأصبحت قائد الفريق بعد ستة أشهر.

كانت نشأتي في كشمير نشأةً فريدة من نواحي عديدة. كانت المنطقة التي نعيش فيها منطقة صراعات دامية. لقد تفرقتُ كثير من الأسر ومن بينهم أسرتي. والدتي لم تر اثنين من أطفالها لمدة 10 أعوام كاملة وظل والدي بعيداً عن المنزل لمدة 17 عاماً. وبرغم كل هذه الصعوبات فقد تعلمنا مبادئ الصبر واللفظ والخير والالتزام والأمانة والعدالة والاعتدال والتعقل - وكل الصفات التي أتى بها النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وتكرر ذكرها في القرآن. وبالنسبة لنا كان النبي بمثابة قائد الفريق، كان يقود الفريق، وكان زعيماً سياسياً، وجنرالاً، ومعلمًا، ومؤمناً بالعدل والعمل. لقد تزوج من السيدة التي عمل أجيراً عندها وكانت أكبر منه سناً، وفي الحقيقة فإنها هي التي سعت إلى الزواج منه. كان النبي محمد صلى الله عليه وسلم في عظاته وممارساته يبرهن على أن المسؤولية الرئيسية للقيادة هي تحسين مستوى المعيشة للمواطنين. ولقد اقتدى به وسار على نهجه العديد من القادة والتجار الذين ذهبوا إلى أماكن بعيدة مثل إندونيسيا وماليزيا وشمال أفريقيا في تطوير التجارة، والإدارة، وكذلك العمل على نشر رسالة العدل وحسن المعاملة. وقد تبع التجار كثيراً من المعلمين العظماء ومن بينهم كثيرون ممن عُرفوا بالصوفييين. واللافت أن الشعر الذي كتبه الشاعر المسلم ابن الرومي في القرن الثالث عشر، وهو شاعر يعود أصله إلى غربي أفغانستان، هو أفضل مبيعات كتب الشعر اليوم في الولايات المتحدة.

عندما وصلتُ إلى جامعة نيويورك منذ 41 عاماً مَضَتْ، عشتُ في "بروكلين"، وبعد صدمة الانبهار لرؤية الأنفاق تحت الأرض والضجيج الذي يصم الأذان، أفقتُ لأستطلع بلدي الجديد. إن ما بهرني حقاً في أمريكا أن الناس يعملون بجد، ويتصفون بالأمانة، وأنت إذا استطعت إبراز ما لديك من تميّز فسوف تتاح لك الفرصة لكي تمضي قدماً. إن الناس هنا يتعاملون مع بعضهم البعض بكرامة ومساواة أكثر مما عهدته في كشمير - رغم أن كشمير معروفة بهذه الصفات. لقد توصلتُ إلى أن مبادئ الأخلاق الحميدة هي مبادئ عالمية، وأن قوة أمريكا - بلد المهاجرين - تكمن في التنوع، وهو ما مكّنها من خلق ثقافة فريدة في العالم. لكن أمريكا لم تكن لتخلو من عيوب رئيسية. إنني لم أستطع أن أفهم الطريقة التي عومل بها الزوج أو الهنود، وأن المرأة ظلت منقوصة الحقوق حتى وقت قريب. ومع ذلك فأمریکا تمتلك الأمل بسبب مبادئها المستمدة من إعلان الاستقلال، والدستور، وبالأخص مبادئ حقوق الإنسان. ولأول مرة في حياتي لم أعد أعيش تحت وقع الألم المستمر الذي كانت تخلقه الصراعات.

وخلال العشرين عاماً الماضية كان لي شرف رئاسة مؤسسة "إيثان ألين" Ethan Allen، وهي مؤسسة أمريكية تقليدية. وتحفل "إيثان ألين" هذا العام بالعيد الخامس والسبعين لإنشائها. وقد بدأت الشركة بتصنيع الأثاث وتوريد منتجاتها إلى موزعين مستقلين. وحينما تولىّيتُ المسؤولية في منتصف الثمانينات، تبيّنتُ أن "إيثان ألين" بحاجة إلى تغييرات رئيسية لإعادة التأهيل. فتصميمات المُنْتَج لم تعد مناسبة، والتسويق والتصنيع في حاجة إلى إصلاحات كبيرة. كان التحدي يكمن في تغيير الصورة الراسخة لهذا المشروع الذي

يحظى اسمه بثقة كبيرة لدى 90% من المستهلكين. وكما يحدث غالباً، فقد كان العاملون على إدارة الشركة راضين عن أوضاعهم ويشعرون بأنه ليس ثمة حاجة إلى أي تغيير.

إن إعادة التأهيل تعني إلقاء نظرة جديدة على المشاكل وتحدي فرضيات الماضي. وخلال المضيّ في أي عملية رئيسية لإعادة التأهيل فعلى المرء بصورة عامة أن يتفهم ويتوقع أن الأفكار تقابل بالرفض في أول الأمر، ثم يحدث التسامح بشأنها، وأخيراً تكون هناك فرصة للقبول. وإعادة التأهيل أمر أساسي لاستمرار حيوية أية مؤسسة، وقد يتم ذلك إما دون قصد - وهو ما يحدث معظم الوقت - أو عن قصد ومن الواضح أنه الأسلوب المفضل. وأعتقد أيضاً أن من مسؤولية القيادة العامة فوق كل شيء أن توفر البيئة المواتية والتوجيهات الإرشادية التي ستبشر المؤسسة العمل على أساسها. إن كل مؤسسة تتحدد هويتها في ضوء الثقافة التي تخلقها القيادة. فطبيعة النقاشات والأولويات تتشكل بحسب القيادة؛ وإذا هي لم تنتهز الفرصة والمسؤولية فإن الفراغ سيملؤه أصحاب الأصوات الأعلى وغالباً أصحاب الأساليب المتطرفة.

"إيثان ألين" اليوم هي شركة قد حظيت بالتغيير وهي شركة عالمية. وكما تعرفون، لقد كُتِبَ الكثير عن مبادئ الإدارة والقيادة. لقد تأثرتُ بالمبادئ الأخلاقية العالمية التي انبثقت عن كل الديانات في العالم وكما احتفظت بها الموثيق التي أسست هذا البلد العظيم. لقد ألهمتني هذه المبادئ المشتركة لكي نصوغ معا مجموعة من "التعليمات" الخاصة بنا وأسميناها مبادئ القيادة، ويمكن الاطلاع عليها في موقعنا على الشبكة www.ethanallen.com.

لقد ساعدتنا مبادئ القيادة في "إيثان ألين" على أن نخلق ثقافة فريدة نشأ عنها فريق من حوالي 10000 مشارك من ذوي الهمم العالية. دعوني أصف لكم بإيجاز هذه المبادئ العشرة للقيادة، وستدركون جميعاً أنها مستمدة من الفطرة السليمة، والأخلاقيات العالمية والحكم الرشيد.

1. القيادة: أن تكون القيادة من خلال إعطاء القدوة والمثل.
2. التواصل: أن تكون متاحاً لمن يريد الوصول إليك، تقدم الدعم، وتقدر إسهامات الآخرين.
3. الاهتمام بالعميل: أن تدرك أن المسؤولية الأولى للمدير هي إرضاء العميل. (وفي حالة القيادات السياسية تكون مسؤوليتهم رفاهية مواطنيهم).
4. التميز والابتكار: أن تكون تواقاً إلى التفوق والإبداع.
5. الثقة بالنفس: أن تملك الثقة بالنفس لتشجع الآخرين على بذل قصارى جهدهم.
6. التغيير: التغيير يعني فرصة للانطلاق ولا ينبغي التخوف منه.
7. السرعة: الاحتفاظ بميزة تنافسية بالتجاوب السريع مع الفرص الجديدة.
8. العمل الدؤوب: وضع معيار للعمل الجاد الدؤوب وممارسته دون كلل.
9. وضع الأولويات: تحديد الأولويات بالتمييز بشكل واضح بين القضايا الكبرى والأمور الصغيرة.
10. العدالة: يجب أن تتخذ دائماً قرارات عادلة. فالعدالة تبني الثقة والإيمان، مما يشجع بدوره على تحفيز الهمم والعمل بروح الفريق.

خلال السنوات الـ 20 الماضية وضعنا نصب أعيننا هدفا يقضي بأن نناقش هذه المبادئ في كل اللقاءات الكبيرة والصغيرة، وأن نطلب من معظم قياداتنا في الإدارة العليا أن يسجلوا ملاحظاتهم حول تطبيق هذه المبادئ كجزء من التقييم الذاتي. وكان جزء كبير من الحوافز لكبار المديرين يُعطى لهم بناء على مدى التزامهم بهذه المبادئ.

وأود هنا التركيز على مبدأ العدالة. فكلمة العدالة لا تستعمل غالبا في مؤسسات الأعمال. ولكننا نعلم أن انعدام الحافز هو السبب الرئيسي وراء تدهور الإنتاجية والتأثير السلبي على الربحية. وأعتقد أن الإدارة الجيدة هي الوسيلة الناجحة لتحقيق الربح الوفير. وفي "إيثان ألين"، خلال السنوات الخمس عشرة الأخيرة، كان أداءنا طوال الوقت على أعلى مستويات من الربحية في صناعتنا، بل في الحقيقة في معظم الصناعات.

إن هذا يقودني إلى مسألة أهمية الإدارة الجيدة والحاجة إلى شراكات على المستوى العالمي. فالعالم صغير وسوف يكون أكثر صِغَرًا. الاتصالات والمعلومات تزيد من التطلعات وإذا لم تتحقق هذه التطلعات بدرجة معقولة فإن ذلك سيتسبب في كثير من القضايا والمنازعات. ونحن نعرف المبدأ العالمي الذي يقول بأن أداءنا مرهون بالأمال التي نتطلع إليها أو تلك التي يصورونها لنا. وهذا أمر يعرفه جيدا هؤلاء الذين يديرون شركات عامة أو يعملون في المجال العام. وعلينا أن نفهم أن رفاهيتنا في الولايات المتحدة على المدى البعيد ستعتمد اعتمادا متزايدا على المساعدة في رفع مستوى المعيشة في جميع أنحاء العالم. نحن نواجه الآن بالفعل بمشكلات نتيجة لنزوح السكان. وتحدث الهجرة بسبب عوامل عديدة تشمل الصراعات السياسية، والتطلعات المتزايدة، وقلة الفرص الاقتصادية، وفي رأيي بسبب الافتقار إلى القيادة الجيدة. إن علينا أن نرفض فكرة أن العولمة تعني أننا سوف نكون أفضل حالا وليس من المهم الاكتراث برفاهية المواطنين في هذه القرية العالمية. فالهجرة تحدث من أمريكا الجنوبية إلى أمريكا الشمالية، ومن آسيا وأفريقيا إلى أوروبا، ومن المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية. وفي كثير من الدول سريعة النمو، تتسبب الهجرة من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية في نشوب صراعات اجتماعية عميقة، وقضايا صحية وتحديات بيئية.

وأحد نتائج الصراعات هو النزوح. إنني عضو في منظمة اللاجئين الدولية، وهي منظمة غير هادفة للربح وتعمل في مجال الدفاع عن النازحين. وهناك مأساة تتمثل في أن أكثر من عشرين مليون شخص تركوا ديارهم، وهذا العدد يتزايد بسرعة. وبالإضافة إلى ذلك، فقد بدأنا الآن فقط نتفهم الآثار المحتملة لظاهرة الاحتباس الحراري في العالم **global warming** وخطورتها على السكان الذين يعيشون في المدن الساحلية الكبرى حول العالم. وإذا استمر ارتفاع درجة الحرارة في العالم عند المستويات التي نشهدها فهناك تقديرات تشير إلى أن الملايين من الناس سيشردون في أنحاء العالم.

وبالإضافة إلى قضية البيئة وغيرها من القضايا المتعلقة بالعولمة، فإن لدينا قضية رئيسية أخرى لا بد من التعرض لها وهي: الصراع الذي نشهده بين أمريكا ودين الإسلام. تقوم نظرية هذا الصراع المتوهم - إلى حد كبير - على افتراض البعض أن هناك تعارضا عنيفا بين القيم اليهودية - المسيحية من جهة والقيم الإسلامية من الجهة الأخرى. ومن المهم الإشارة إلى أن هذا الاعتقاد موجود لدى قسم من السكان يعلنون عن أنفسهم سواء من غير المسلمين أو من المسلمين. إن افتراض وجود صراع كهذا هو افتراض مضلل

وغير دقيق لعدة أسباب. أولاً، إن الدين الإسلامي هو استمرار للرسائل التي جاءت مع اليهودية والمسيحية. وهو ثالث الديانات في الغرب في الناموس الإبراهيمي، وهو يقوم على نفس المبادئ الأساسية لليهودية والمسيحية. ثانياً، لا يمكننا أن نتجاهل الدور التحريضي الذي يلعبه الزعماء السياسيون بالترويج لفكرة "نحن وهم على طرفي نقيض".

وعبر التاريخ كان العديد من الأديان يُستخدم لتبرير كل أشكال العنف - بما في ذلك الرق، والإبادة، والاستعمار. دعونا لا ننسى أن الترويج لفكرة "الإسلام" في مواجهة "الغرب" هو أداة سياسية يمكن التلاعب بها بكل سهولة. إن علينا جميعاً أن نرفض الرأي القائل بأن الإسلام، كدين، لا يتفق مع الديمقراطية وإعمال القانون. والحقيقة أن المبادئ الأخلاقية الأساسية في الإسلام تتفق مع المبادئ التي تأسست عليها هذه الأمة العظيمة. وإنني مرة أخرى أشير إلى القيم المشتركة من الرحمة والإحسان، والعدالة الاجتماعية، والتعايش في سلام مع مختلف شعوب العالم، واستخدام العقل. وأودّ أن أضيف القول بأن الناس في جميع أنحاء العالم يريدون تحسين أوضاعهم الاقتصادية وأن يتمتعوا بحكم أفضل. ومع سهولة تدفق المعلومات فإن هذه المطالب سوف تتزايد.

علاوة على ذلك، إنني أشعر بقلق بالغ إزاء النزوع إلى المواجهة، والرؤية الضيقة من قِبَل القيادات في كثير من دول العالم، سواء الشرقية أو الغربية. وفي معظم الحالات يكون منطق الأنا، والخطورة، وانعدام الحس السليم هو الذي يحدد طبيعة التدخل، مما يسبب ضرراً كبيراً لملايين الأبرياء من البشر. وفي ظل بقاء النزاعات الكبرى دون حل فلا يمكن لأي فرد أو مؤسسة أو أمة أن تزدهر. إن المسؤولية الرئيسية للقيادات تدعوهم لكي يضعوا حداً لمثل هذه النزاعات بطريقة سلمية ومشرفة وهذا، للأسف، لا يحدث.

على الرغم من الصراعات والحساسيات الحالية فإنني أعتقد أن أمريكا في موقع فريد يجعلها مهياًة للإسماك بزمam المبادرة. فالولايات المتحدة ليست قوة اقتصادية وعسكرية رئيسية فحسب، ولكننا أيضاً في موقع نستطيع منه أن نكون نموذجاً للتعددية البنّاءة، لأن الولايات المتحدة هي صورة مصغرة من المجتمع العالمي في تنوعه.

واعتقد أنه لمواجهة القضايا الرئيسية التي يواجهها العالم، فهناك حاجة ماسة إلى إيجاد شراكات.

- المسلمون في الغرب وخصوصاً المسلمين الأمريكيين يمكنهم وينبغي عليهم أن يضطلعوا بدور هام في تيسير الحوار حول القيم الأخلاقية المشتركة التي نتقاسمها جميعاً. علينا أن نساعد في تشكيل شبكات اتصال لتشجيع المشاركة الفعالة في العملية السياسية. وفي هذا الصدد فإنني شاركتُ مع وزير الزراعة السابق "لين مارتن" في رئاسة مجموعة عمل شكّلها مجلس شيكاغو للشؤون العالمية، تُدعى مجموعة العمل الخاصة بالمسلم الأمريكي. وبعد حوالي خمسة عشر شهراً من المداولات سيصدر تقرير مجموعة العمل في يونيو/حزيران الجاري. وسوف يعرض هذا التقرير عدداً من المبادرات التي يمكن أن يتبناها المسلمون الأمريكيون حتى ينخرطوا في المزيد من المشاركة في العمليات السياسية الداخلية، وليكونوا ركيزة لإبراز القيم الأخلاقية المشتركة.

• وتمتلك الشركات العالمية - وخاصة تلك القائمة في الولايات المتحدة - فرصة لمساعدة العديد من المجتمعات المحلية والعالمية. وفي هذا الصدد سوف تساعد الشركات مع مؤسسات في الدول ذات الأغلبية المسلمة في تحسين العلاقات. والشركات العالمية لديها الموارد، ولديها توجهات لما يمكن أن تقوم به من أنشطة. وأمس، أتاحت لي فرصة المشاركة في مبادرة جديدة نسبياً تُدعى لجنة تشجيع الأعمال الخيرية للشركات **Committee Encouraging Corporate Philanthropy**. تضم هذه اللجنة في عضويتها كبار المسؤولين التنفيذيين في حوالي 150 من كبرى الشركات العالمية ومعظمها قائمة في أمريكا. تعرّفنا على عدد من المؤسسات، بما فيها "جلاكسو سميث كلاين" **GlaxoSmithKline**، تنتوي إقامة شراكات في العديد من الدول النامية. وكانت "جلاكسو سميث كلاين" قد أقامت شراكات على المدى الطويل، وفي عام 2006 قدّمت مَنحاً نقدية وعينية بما يربو على 650 مليون دولار.

• هناك حاجة عاجلة إلى دعوة زعماء العالم الذين يمثلون مختلف المناطق والأديان إلى الاجتماع. ويجب أن يشمل هؤلاء القادة أولئك الذين نتفق معهم وكذلك أيضاً أولئك الذين نختلف معهم. ويجب أن يُقرّوا بوضوح بأن التحديات التي تواجه قريتنا العالمية يجب حلها تحت مظلة مبادئنا الأخلاقية المشتركة. وأعتقد أن هذه المجموعة ينبغي أن تلتقي بانتظام وأن تأخذ اجتماعاتها صورة مؤسسية.

• وبالمثل، هناك حاجة إلى عقد اجتماع خاص لكبار المسؤولين الدينيين من مختلف الأديان. ويجب على هؤلاء القادة أن يركزوا طاقاتهم في المجالات التي توحدنا.

وأود أن أضيف هنا أنه من أجل مناقشات مثمرة، فإن الحوارات يجب أن تتسم بثلاث خصائص. أولها، عدم الإكراه على اتخاذ أي موقف، وأن تتفق جميع الأطراف على أن تتعامل مع الآخرين بروح المساواة. والثانية، أن تتسم استجابة المشاركين بالتفهم، وأن يضعوا أنفسهم فيما لو كانوا مكان الآخرين في تقديرهم لأفكارهم ومشاعرهم. والثالثة، أن الحوار يجب أن يهتم بإبراز الأفكار العميقة الجذور لدى الشعوب لتجاوز سوء الفهم. يجب أن تكون هناك رغبة حقيقية في العمل معا في شراكة.

أشركم مرة أخرى. وقد أسعدتني وحركت مشاعري تلك الفرصة التي أتاحت لي أن أعود لزيارة الجامعة التي لعبت دوراً رئيسياً في بدايات حياتي، ورَحَّبْتُ بي في كرم بالغ عند عودتي إليها.